ثانياً - رهائنُ الصراعاتِ الخارجيةِ منذُ الفتح الإسلامي حتى نهايةِ عصر الولاة:

رهائنُ لفتحِ الأندلسِ

كانَ من المؤكدِ للجيوشِ الإسلامِية أن تتقدَم لفتح الأندلسِ وذلك لأن غرضها الأساسي الجهاد (١٩٠) في سبيل الله، وذلك لضرورة إبلاغ دعوة الإسلام إلى الناس كافة لأنها دعوة عالمية ورسالة خاتمة فقال تعالى "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا"(١٩١)، وليس للرسول خيار في إبلاغ رسالة الله، فقال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ"(١٩٢).

وأمام هذه التكاليف بإبلاغ رسالة الله لا بد للدعوة من خصوم يقفون في طريقها ويمنعون وصولها إلى الناس عندئذ لا بد من تحطيم مراكز القوي التي تصد عن سبيل الله: "وَقَاتِلُوهُمْ حتى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ على الظَّالِمِينَ"(١٩٣).

---

(١٩٠) الجهاد: الجهاد لغة: بذل الجهد وإستفراغ الوسع، والجهاد إصطلاحا هو: المبالغة في إتعاب النفس في ذات الله وإعلاء كلمته التي جعلها الله طريقا إلى الجنة وسبيلا إليها ؛ ابن منظور: لسان العرب (مادة جهد)، ج٣، ص ١٣٣.

(١٩١) سورة سبأ: الآية ٢٨.

(١٩٢) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(١٩٣) سورة البقرة: الآية ١٩٣.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ولى جِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(١٩٤) فهذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولاً بأول الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام (١٩٥) وبذلك لم يكن أمام المسلمين سوى الأندلس.

وإن الهدف الأسمى من الجهاد الذي يقره الإسلام هو أن تكون كلمة الله هي العليا، لأن تحقيق هذا الهدف يحقق للناس سلمهم الحقيقي ويضمن لهم سلامة أنفسهم وصيانة أعراضهم وحفظ أموالهم، ولذلك فإن هذه هي الغاية من الجهادِ في سبيل الله، فعن أبي موسى ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجلُ يقاتل للمغنمِ، والرجلُ يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليري مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال: (من قاتل لتكون كلمة الله العليا، فهو في سبيل الله) (١٩٦).

لذلك كان من الطبيعي أن تستمر موجة الفتح الإسلامي، حيثُ بسطَ العربُ سلطانهم على شمالي إفريقية كله في البر والبحر، ولم يبق من ثغوره بيد النصارى بعد افتتاح طنجة سوى ثغر سبتة(١٩٧)، الواقع في نهاية البحر الأبيض المتوسط شرقي طنجة، وكانت يومئذ من أملاك

(١٩٤) سورة التوبة: الآية ١٢٣.

(١٩٥) لمزيد من التفاصيل أنظر: الطبرى: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، القاهرة ٢٠٠٠م، ج١٤، ص ٥٧٤؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ط٢، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة١٩٩٩م، ج٤، ص٢٣٧.

(١٩٦) ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، دار الحديث، القاهرة ١٩٨٣، ج٥، ص١٤٥؛ أبو الحسن على بن خلف بن عبد الملك بن بطال القرطبي: شرح صحيح البخارى، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الطبعة: الثانية - السعودية - الرياض ٢٠٠٣م، ج٥، ص٢٥، ٢٦.

(١٩٧) حاول المسلمون الإستيلاء على حصن سبنه مرتين: في المرة الأولى كان يقودهم عقبة بن نافع، فخرج إليه يليان بهدايا وتحف وأستلطفه وكان ذا عقل وتجربة فأمنه عقبة وأقره على موضعه وفي المرة الثانية موسى بن نصير فقاتله موسى، فألفاه في نَجْدَةٍ وقوّة وعُدَّة، فلم يُطِقْهُ، فرجع إلى مدينة طنجة وأقام هناك بمن معه؛ وأخذ في الغارات على من حولهم والتَضييق عليهم، والسُفن تختلف إليهم بالميرة والإمداد من الأندلس من قِبَل ملكها غَيْطَشَة، فهم يذبّون عن سبتة ذبّاً شديداً، ويحمون بلادهم حماية تامّة، وكانت سبتة مدينة حصينة قريبة من الأندلس مما ساعد على ثباتها بوجه المسلمين الفاتحين فتم عقد الصلح بين الطرفين؛ وبموجب هذا الصلح ظل جوليان حاكماً على سبتة مقابل اعترافه بالسيادة العربية، ورجع موسى إلى القيروان. مجهول: أخبار مجموعة، ص ٥١، ٥٢؛ البلازرى: فتوح البلدان، ص ٢٣٢؛ ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص٤٢؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص٢٦.

إسبانيا، ويحكمها زعيم من القوط أو الفرنج يدعي الكونت يوليان، وكانت سبتة قد استطاعت لمنعتها الطبيعية ويقظة حاكمها أن ترد هجمات العرب رغم مجاورتهم لها من الجنوب والغرب، وكان موسى يشتاق إلى فتح هذا المعقلِ الحصينِ على أن مشاريعه في الفتح لم تكن تقفُ عند سبتة بل كانت تجاوزها إلى ما وراء ذلك البحر الشاسع(١٩٨).

وكان طارق بنُ زياد قد عسكر هو ومن معه من جند العرب على الساحل المغربي عند طنجة (١٩٩)، وقد ترك موسى مع طارق تسعة عشر ألفاً من البربرِ بالأسلحةِ والعدةِ الكاملةِ وكانوا قد أسلموا وحسن إسلامهم (٢٠٠)، وأخذت أعدادهم تتزايد مع الزمن وخاصةً بعد انتشارِ الإسلام في المغرب بصورةٍ جعلت أهالي تلك البلاد يتحمسون لحملِ لواءِ الدينِ الجديدِ فكان توجههم ناحية إسبانيا، لذا اتجهت أنظار طارق إليها (٢٠١).

ولذلك لم يقدم العرب على فتح إسبانيا بتحريض من صاحب سبته أو أبناء الملك غيطشه، بل كانت عندهم رغبة صادقة في الجهاد واستكمال الفتوحات الإسلامية (٢٠٢)، ودليل ذلك قول طارق بن زياد عندما أوغل في بلاد الروم ومل الناس وتعبت أبدانهم من طول المشي المستمر، فقالوا له ألم تقنع بما فتح الله عليك؟ فضحك وقال: تالله لو ساعدتموني

(١٩٨) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٦.
(١٩٩) مجهول: أخبار مجموعة، ص٥١.
(٢٠٠) ابن الكردبوس، الإكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ٤٦ ؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص ١١١.
(٢٠١) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٥٢؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٣.
(٢٠٢) يمكن القول أن فكرة فتح الجزيرة الأيبيرية هي فكرة إسلامية تماما، بل يروي أنها فكرة قديمة تمتد إلى أيام الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ، فقد كان القائد عقبة بن نافع يفكر في إجتياز المضيق إلى إسبانيا، وسبق للمسلمين نشاط على شواطئ إسبانيا الشرقية وبعض جزر (الجزائر الشرقية) وهي ميورقة (Mallorca)، ومنورقة (Menorca)، واليابسة (Ibeza)، حيث يذكر الذهبى: أنه في سنة (٨٩هـ/٧٠٧م) جهز موسى بن نصير ولده عبد الله فأفتتح جزيرتي ميورقة ومنورقة. عبد الرحمن على الحجى: التاريخ الأندلسى، ص٤٤، ٤٥.

لسرت بكم حتى أقف على باب روما وقسطنطينية العظمي وأفتحها بإذن الله، فإذا مللتم وسئمتم فارجعوا (٢٠٣).

وفي بداية العقد الأخير من القرنِ الأولِ الهجري في حدود سنة(٩٠هـ/ ٧٠٨م) عهَد القائدُ العربي موسى بنُ نصير إلى طارق بن زياد بتولي قيادةِ البربرِ المسلمين الذين انتظموا في صفوفِ الجندِ العربي في منطقةِ المغربِ الأقصى فاتخذَ مدينة طنجة مقراً له، ولقد كان حماسُ هؤلاءِ البربرِ إلى الجهادِ ونشرِ مبادئ الإسلامِ التي جاء بها العرب كبيراً، ونظراً لطبيعة المنطقة الجغرافيةِ لم يكن أمام طارق وجنده سوى التوجه بأنظارهم إلى شبه الجزيرة الأيبيرية (٢٠٤)، ولا سيما أن مناطق الجنوب كانت صحراوية لا تشجع على التجارة إليها أو التوغل فيها، يضاف إلى ذلك أن البربر كانوا على اتصال دائم مع السواحل الاسبانية لقربها، وكانوا أيضاً على علمٍ تامٍ ومعرفة أكيدة بمدي خصب شبه الجزيرة وغناها، وعن خطورة مشاكلها الاجتماعية والسياسية، وضعف دولة القوط الغربيين بصورة عامة، وما تعانيه من الخلافات والشقاق. ولقد شجعت هذه العوامل العرب والمسلمين على التفكير بفتح إسبانيا وضمها إلى حظيرةِ المناطقِ التي تم تحريرها في المشرق العربي وشمال أفريقيا (٢٠٥).

ولم يكن هدف العرب الكسب المادي، بل كانت لهم غاية نبيلة أهم من ذلك بكثير، وأبعد تأثيراً، ألا وهي نقل مبادئ وقيم الإسلام السمحة إلى البلاد المفتوحة، والجهاد في سبيل الله من أجل تحريرها، أما الغنائم والمكاسب فهي تحصيل حاصل ونتيجة طبيعية من

(٢٠٣) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٤٩.
(٢٠٤) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٣.
(٢٠٥) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٤٣؛ شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص٢٩؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٤.

نتائج الحروب التي كانت وما تزال تقوم بين الأمم، فالغالب لا بد أن يستولي على مخلفات المغلوب ولو أن موقف العرب من هذا أفضل بكثير من مواقف غيرهم من الشعوب نتيجة لنظرتهم الإنسانية السامية (٢٠٦).

وقد تطرقت المصادر التاريخية العربية إلى الأسباب التي أدت إلى الفتح العربي الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية ولكنها ترجع السبب الرئيس إلى وازعِ الانتقامِ الشخصي، ويسوقون على ذلك قصة ملخصها أن الكونت جوليان **Julian** حاكم مدينة سبتة قد شجع العرب على الفتح انتقاماً لنفسه من لذريق ملك إسبانيا الذي اعتدي على شرف ابنته (٢٠٧).

ولا نستبعد اتصال العربِ بصاحب سبته أو أبناء الملك غيطشه فالعرب خلصوا من فتح المغرب الأقصى وأرادوا أن يستفيدوا من الطاقات البشرية الكبري التي توفرت لهم بعد هذا الفتح، وأن هذا التفكير لم يكن بتحريض من هؤلاء أو هؤلاء، لأن العرب لم يكونوا بحاجة إلى أن يحرضهم أحد على الجهاد، إنما الذي حدث في فتح الأندلس حدث مثله في بلاد الشام والعراق ومصر من قبل، وهو محاولة العرب الاستفادة من الانقسامات الداخلية في البلاد ليضمنوا النصر لأنفسهم(٢٠٨)، وخصوصاً أن فتح المسلمين للمدن والبلاد يتميز بالحذر والحرص الشديد على أرواح المسلمين.

(٢٠٦) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٤.
(٢٠٧) ابن الكردبوس: الإكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ٤٣، ٤٤ ؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٢٦٧؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص ٢٥١، ٢٥٢؛ السلاوى: الأستقصا، ج٢، ص ١٥٣.
(٢٠٨) حسن أحمد محمود: تاريخ المغرب والأندلس، دار الفكر العربى، القاهرة١٩٩٩م، ص٣٠.

وبينما كان موسى يرقب الفرصة لتحقيق هذه الأمنية[٢٠٩] جاءته رسالة من الكونت يوليان نفسه يعرض فيها تسليم معقله[٢١٠] ويدعو لفتح إسبانيا[٢١١]، وطارق يومئذ بتلمسين وموسي بن نصير بالقيروان، فقال طارق " لا أطمئن إليك حتى تبعث إلى برهينة " فبعث إليه بابنتيه ولم يكن له ولد غيرهما فأقرهما طارق بتلمسين واستوثق منهما[٢١٢]، وقد عرض يوليان تسليم سبته وباقي معاقله وتقديم سفنه لنقل المسلمين في البحر ومعونته بجنده وإرشاده [٢١٣]، ولذلك لم يكن أمام جوليان إلا الرضوخ للعرب والتعاون معهم، وخصوصا أنه رأي أن الأمور تسير لصالح العرب والمستقبل يبشر بتفوقهم على القوي الأخرى[٢١٤].

والضرورة العسكرية هي التي دفعت بطارق بن زياد أن يأخذ رهائن من يوليان وذلك حتى يوفر له الأدلاء في بلاد يجهل طارق بن زياد مسالكها ووسائلها الدفاعية ومناطق الضعف والقوة فيها لذا أخذ الرهائن من جوليان حتى يجبره على مساعدته في مشروع فتح الأندلس، ويستوثق من عدم خيانته.

ولكننا في هذه الحالة نجد أنفسنا أمام أسئلة عديدة تفرض علينا، وخصوصا أن الرهائن في هذه الحالة هم بنات يوليان، ألم يخش الاعتداء عليهن مثلما حدث من ابنته من لذريق؟ ولماذا كان جوليان حريصاً على الاستجابة لتلبية مطالب المسلمين؟ وما المكاسب التي سوف يجنيها يوليان من مساعدته للمسلمين في فتح الأندلس؟

(٢٠٩) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٥٢.
(٢١٠) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٩.
(٢١١) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٥١؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٤.
(٢١٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ٢٠٥.
(٢١٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٠٤.
(٢١٤) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٤٢٥؛ عبد الله عنان دولة الإسلام، ج١، ص ٣٥.

أسئلة عديدة اختلف العديد من المؤرخين في وضع إجابات دقيقة ومحددة لها، ويتضح أن حاكم مدينة سبته قدم الرهائن عن طيب خاطر وبسرعة رغم كون الرهائن في هذه الحالة(إناث) وذلك لأنه على ثقة كبيرة بأخلاق المسلمين وأنهم لا ينقضون العهد فلم يخشي على بنتيه، وخصوصا أن يوليان قدم ابنه(٢١٥) وأبناء قومه رهائن قبل ذلك لموسي بن نصير، وذلك حتى يضمن موسى بن نصير صدق طاعته(٢١٦)، ولقد حرص يوليان على الوقوف بجانب المسلمين وهذا ما أكدته المصادر التاريخية وذلك ليس بسبب الخوف على بناته، اللتين قدمهما رهائن ولكن حتى يؤكد يقينا على صدق مسعاه، و لكن ما هو تفسير حرص يوليان الشديد على مساعدة المسلمين؟ هل خوفه على ملكه؟ أم عنده رغبة للانتقام من لذريق؟

أليس كافيا أن يقدم يوليان الجزية للمسلمين ولا يكلف نفسه أعباء مساعدة المسلمين لفتح الأندلس!

كل هذه الأمور توضح الآتي:

- أن يوليان وغيره من النصارى عموماً على يقين بأن المد الإسلامي لن يتوقف عند مرحلة واحدة، لذلك لم يطلب يوليان من المسلمين مساعدة أبناء غيطشه في استعادة ملكهم بل طلب منه غزو الأندلس وهذا ما تؤكده الروايات التاريخية (٢١٧).

(٢١٥) لم تقدم المصادر التاريخية معلومات وافية عن ابن يوليان، ويذكر ابن الحكم أقدم الرواة أنه لم يكن له ولد، وذلك عكس روايات (القلقشندي وابن خلدون والسلاوى) الذين يذكرون أن يوليان قدم ابنه رهينة لموسي بن نصير عندما أراد فتح مدينة سبتة، ويري الباحث أن ما ذكره ابن خلدون والقلقشندي والسلاوي قد يكون صحيحاً، وأن ابن الحكم قد يكون محقاً ً أذ لم يكن لجوليان ولد في الظرف الذي قدم فيه ابنتيه رهائن لطارق بن زيادلأنه من الممكن أن يكون يوليان قد فقد ابنه في هذه الفترة.

(٢١٦) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٥، ص١٥٣؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٦، ص ٢٨٢؛ السلاوى: الاستقصاء، ج١، ص ١٥٢.

(٢١٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص٥٢ ؛ ابن الكردبوس: الإكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ٤٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٢٦٧؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٥؛ عبد الله عنان دولة الإسلام، ج١، ص ٣٩.

- ولو أن يوليان طلب منهم استعادة الملك لأبناء غيطشة لتوقفت الجيوش الإسلامية بعد الانتصار في معركة وادي لكة، وسلمت الملك لأبناء غيطشه ثم ارتدوا إلى المغرب، ولكن حدث عكس ذلك، حيث تقدمت الجيوش الإسلامية وفتحت أغلب الأندلس، وانتشرت في مسالكها بإرشاد يوليان وأتباعه وتقدمت ناحية فرنسا واخترقت جبال البرتاب (٢١٨).

- لو أن يوليان كان يرغب حقاً في استرجاع العرش المغتصب من لذريق لكتب عهداً مع المسلمين، ولتم تبادل الرهائن بين الطرفين، حتى يتأكد المسلمون من صدق يوليان وعدم خيانته، وحتى يتأكد يوليان وأبناء غيطشة من عدم بقاء المسلمين في الأندلس، وما يؤكد ذلك أن المسلمين قاموا بفتح أغلب الأندلس وتقدمت الجيوش الإسلامية لجميع مسالكها بإرشاد يوليان أن ما حدث بعد الفتح الإسلامي للأندلس أن أبناء غيطشه تقدموا إلى المسلمين بعد انتصارهم يطالبون بشيء من ضياع أبيهم، فأعطاهم المسلمون جزءاً كبيراً منها كسبا لودهم، وقد أحسن المسلمون بذلك إحساناً عظيماً، لأن أبناء غيطشه أصبحوا من أخلص الأنصار لهم، وأسلم بعضهم وحسن إسلامه(٢١٩).

- أن جوليان عنده رغبة جامحة في الانتقام الشخصي من لذريق الذي اغتصب العرش من أبناء الملك غيطشة حليفه.

---

(٢١٨) بعض المؤرخين، يذكرون أن موسى بن نُصير، بعد أن افتتح سرقسطة، بعث سراياه إلى قطالونة، ففتحت بَرْشلونَة ومن هناك اخترقت جبال البرتات (البرانس) وتوغلت في بلاد غالة، فاستولت على أُرْبُونة (Narbonne) وصخرة إينيون (Avignon) وحصن لودون على وادي ردونة، وهو وادي نهر الرُّون ولا نستبعد أن تكون بعض قوات موسى قد افتتحت برشلونة ولاردة وجزء من إقليم قطالونية، وأنها قد وصلت إلى جبال البرتات واجتازتها إلى قَرْقَشُونة، فهو نفس الطريق الذي اتبعه السَّمح بن مالك بعد ذلك بسنوات، ولكن فتح موسى هذا لم يكن فتحاً مُسْتَداماً، إنما كان فتحاً وقتياً بقوات استطلاعية خفيفة. استطاعت جمع المعلومات عن تلك نفح الطيب، ج١، ص ٢٥٦.

(٢١٩) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص١١٩.

- رغبة يوليان في المحافظة على ملكه بما يقدمه للعرب من مساعدات (٢٢٠)، وأن يحتفظ بملك مدينة سبتة في ظل حلفاء يحترمون العهود والمواثيق، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يتخلص من لذريق عدوه، ويكون قد قدم المساعدة لأبناء غيطشة.

بلاي رهينةٌ في يدِ المسلمينَ: -

كان فتح المسلمين لشبه الجزيرة سنة (٩٢هـ /٧١٠ م) قد أتاحَ لهم السيطرة التدريجية على سائر أنحائها باستثناء بعض الأشرطة الضيقة في أقصى الشمال الغربي في المنطقة المسماة جليقية (Galicia)، والتي تسميها المصادر العربية باسم الصخرة(٢٢١)، والتي تتميز بوعورتها وصعوبة الدخول إليها(٢٢٢)، وتمتاز بمراكزها الدفاعية الكثيرة التي تصلح للمعارك الحربية(٢٢٣)، وظلت المناطق الشمالية الغربية العقبة الأساسية في سبيل استكمال فتح شبه الجزيرة بكاملها، وتعد هذه الأجزاء من المناطق الوعرة جداً لأنها تضم هضاب اشتوريش Asturias القاحلة(٢٢٤)، ويعتقد بعض المؤرخين القدامى والمحدثين أن قادة جيش فتح

(٢٢٠) لمزيد من التفاصيل عن يوليان أنظر: حسين مؤنس: فجر الأندلس الصفحات ١١٥ ـ ١٢٨.
(٢٢١) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٦٦ ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٩؛ عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٣٠٧؛ السامرائي و آخرون: تاريخ العرب، ص ١٣٢.
(٢٢٢) الحجى: التاريخ الأندلسى، ص ٢٦٨.
(٢٢٣) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٢١٠.
(٢٢٤)عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٨٣ ؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٤٧.

الأندلس قد اعتقدوا أن هذه المنطقة ليست ذات أهمية بالنسبة إليهم فأغفلوها(٢٢٥)، ويعتبر أحدهم عدم فتح تلك المنطقة من أكبر أخطاء الفاتحين (٢٢٦).

الحقيقة التاريخية مفادها غير ذلك، حيث أن هذه المنطقة كانت على أيام موسى هضبة قاحلة لا أهمية لها من أية وجهة حربية أو عمرانية، تحيط بها غابات كثيفة (٢٢٧)، ورغم ذلك لم يغفل المسلمون هذه المنطقة، بل تصالح المسلمون مع أهل هذه المنطقة بناءً على طلبهم (٢٢٨)، وأخذوا منهم بلاي رهينة والذي استطاع الهرب بعد ست سنوات، فاستطاع فيما بعد أن يجمع الشراذم المنهزمة من جيشِ القوط الغربيين المتحصنة وراء الجبال (٢٢٩)، وعمل على إعادة ترتيب صفوفهم، وقامت ثورتهم في عهد عنبسة بن سحيم الكلبي (١٠٣-١٠٧هـ/ ٧٢١-٧٢٦) (٢٣٠).

(٢٢٥) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٦٦ ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٩؛ المقرى: نفح الطيب، ج٣، ص١٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ص٢١٠ ؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص٣٦٠؛ رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية، ص ٢٧.

(٢٢٦) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ص٢١٠.

(٢٢٧) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص٣٦٠.

(٢٢٨) ابن قتيبة الدينورى: الإمامة والسياسة، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م، ج٢، ص٢٤١.

(٢٢٩) مجهول: أخبار مجموعة، ص٦٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٢٧٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٠٧؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص١٣٥.

(٢٣٠) المقرى: نفح الطيب، ج٤، ص ٣٥٠، ٣٥١؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٢١٦؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص٤٨.

فالذي حدث أن العَرب لم يغفلوا أمر هذه المنطقة، ولكن الخلافة الأموية في دمشق سارعتْ إلى استدعاء موسى بن نصير سنة (٩٥هـ/٧١٤م) [٢٣١] رافضة إمهاله بعض الوقت لاستكمالِ تطهير الشمال الإسباني من الشراذم [٢٣٢].

ثم شهدت الفترةُ التالية في الأندلس اضطراباً إدارياً كبيراً بسببِ كثرةِ عددِ الولاةِ وسرعة تغيرهم[٢٣٣]، مما هيأ الفرصة لنصارى الشمال لإعادة ترتيب صفوفهم[٢٣٤]، والذي زاد من الأمر سوءاً هو انقسام العرب على أنفسهم وانصرافهم إلى منازعات الجيش والعصبية، فقد قضت هذه المنازعات على أعدادٍ كبيرة منهم وصرفت جهودهم عن مراقبة الجزيرة والاستمرار في اليقظة على سلامةِ دولتهم فيها، بل أدت حروب العرب والبربر إلى مبارحة معظم البربر للنواحي التي كانوا قد استقروا فيها في الشمال الغربي الأقصى وانحدارهم إلى الجنوب، بل إلى عودةٍ أعدادٍ عظيمةٍ منهم إلى إفريقية، فتخلفت وراءهم مساحاتٌ فسيحةٌ من الأرض كان من الطبيعي أن يتقدم القوط والأبيريون الرومان للسكني فيها دون خوف، فاستعادوا بهذا الشكل نحو خمس شبه الجزيرة، وقد كثرت أعدادهم وتنسموا شيئا من الرخاء أعانهم على الثبات للمسلمين وعلي ردهم عن بلادهم أولاً، ثم شجعهم على التقدمِ نحوهم

(٢٣١) كان سبب إستدعاء القائدين موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى دمشق ما نمي إلى الخليفة الوليد من خلاف موسى وطارق في الأندلس وخوفه من أن ينتهي هذا الخلاف بتفريق كلمة المسلمين في تلك البلاد النائية فضلا من تخوفه من مشروع موسى بن نصير الذي يرمي إلى إختراق أوربا بجيشه القوي وأن يصل إلى الشام عن طريق القسطنطينية وهذا المشروع سوف يعرض المسلمين إلى خطر كبير في تلك البلاد البعيدة جدا عن مركز الخلافة الأموية في دمشق ؛النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص٢٧؛ المقرى: نفح الطيب، ج ١؛ص٢٧٦؛ خالد الصوفى: تاريخ العرب في الأندلس، دار النجار للطباعة، بيروت، ١٩٧١، ص ١٤٤، ١٤٥.

(٢٣٢)عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٥٤؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص٤٥؛ الحجى: التاريخ الأندلسى، ص ٢٧٠.

(٢٣٣) الحجى: التاريخ الأندلسى، ص ٢٦٨.

(٢٣٤) مجهول: الإمامة والسياسية، ج٢، ص ٩٥ -٩٦، عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٢١١.

والاستيلاءِ على الأراضي والبلاد من أيديهم فيما بعد[٢٣٥]، وانشغالُ المسلمين عن إحكام قبضتهم على الأندلس كاملة من أهم العوامل التي أدتْ إلى فشلِ المسلمين في مجال علاقتهم مع نصارى الشمال.

ولقد تركزت فلولُ القوط بعد هزيمتهم ومقتل ملكهم لذريق في واقعة وادي البرباط سنة (٩٢هـ/ ٧١١م) في مكانين رئيسيين: الأول في هضاب كانتبريا في الشرق، والثاني في هضاب أستوريش في الغرب، وقد تزعم الجماعة الأولى الدوق بطرة أو بتروس (Pedro) الذي ينتمي إلى أحدِ الأصولِ القوطية النبيلة، فقد كان أحد قادة الجيش القوطي في عهد الملك القوطي ويتيزا (غيطشة) (٧٠١-٧١٠م) وعهد خلفه الملك ردريك (لذريق) (٧١٠ – ٧١١م) إلا أن هذه الإمارة كانت هدفا سهلاً للقواتِ الإسلاميةِ الذاهبةِ إلى بلاد الإفرنج [٢٣٦].

أما المجموعةُ الثانيةُ فألتفت حول بلايو أو بلاجيوس وهو الذي يعنينا في موضوع الدراسة، وتعرفه المصادر العربية باسم بلاي [٢٣٧] أو بتسميته (أحد علوج النصارى) ويكتنف أصل هذه الشخصية الغموض، ولكنه على الأرجح ينتمي إلى أصلٍ قوطي نبيلٍ، وتقول إحدى الروايات أنه ابنٌ الدوق فافيلا دوق كنتبريه [٢٣٨] وهو الذي قتل الملك وتيزا (غيطشة) لذا كان مقربا من الملك لذريق [٢٣٩].

(٢٣٥) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص٣٦٠.
(٢٣٦) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٠٧ ؛ الحجى: التاريخ الأندلسى، ص ٢٦٩.
(٢٣٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٣٥؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٧٩؛ المقرى: نفح الطيب، ج٣، ص ١٧.
(٢٣٨) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٣٦٨؛
.T.B.Trend , the civilization of Spain ,(London -1967), p31.
(٢٣٩)عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٠٨.

ويذكر المقري أن بلاي هو أول من جمع فلول النصارى بالأندلس بعد غلبة العرب لهم، وأنه من أهل أشتوريش من جليقية وكان رهينةً عن طاعة أهل بلده فهرب من قرطبة أيام الحر بن عبدالرحمن الثقفي الثاني من أمراء العرب بالأندلس، وذلك في السنة السادسة من افتتاحها وهي سنة (٩٨هـ/٧١٦م)، وثار النصارى معه على نائب الحر بن عبد الرحمن فطردوه وملكوا البلاد وبقي الملك فيهم، وكان عدة من ملك منهم إلى آخر أيام الناصر لدين الله اثنان وعشرون ملكا(٢٤٠)، ونجد ابن عذاري في بداية كلامه عن بلاي يذكر أن معلوماته أكدها أكثر من واحد من المؤرخين(٢٤١).

فمن المحتمل أن الخلافة الأموية في دمشق عندما سارعت إلى استدعاء موسى بن نصير سنة (٩٥ هـ /٧١٤م) لم يجد أمامه الوقت لاستكمال فتح الشمال الإسباني (٢٤٢) فاضطر إلى عقد الصلح مع أهالي جليقية، وأن يأخذ بلاي رهينة.

والدليلُ على ذلك هو تتبع أحداث الفتح الإسلامي للأندلس، فينما موسى بن نصير و طارق بن زياد يعدّان العدّة لفتح جِلّيْقِيَّة إذ أتاه مُغيث الرّومي رسول الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروَان، يأمره بالخروج من الأندلس، والكفّ عن التوسع في البلاد، وأن يشخص إلى دمشق، فساءه ذلك، إذ لم يكن في الأندلس بلد لم يدخله المسلمون غير جِلّيْقِيَّة، فكان

(٢٤٠) المقرى: نفح الطيب، ج٤، ص ٣٥٠.
(٢٤١) المقرى: نفح الطيب، ج٤، ص ٣٥٠.
(٢٤٢) النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص٢٧؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١١٧؛ المقرى: نفح الطيب، ج ١، ص٢٧٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٥٤؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٢١٦؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص٤٥؛ الحجي: التاريخ الأندلسي، ص ٢٧٠.

شديد الحرص على اقتحامها (٢٤٣)، وكان موسى قد أوفد على بن رَباح (٢٤٤)، مع مغيث الرّومي مولي الوليد بن عبد الملك، رسولين إلى الخليفة ينهيان إليه أخبار الفتوح، يوم كان موسى في طُليطلة بعد أن استعاد فتحها من جديد، وذلك سنة (٩٤ هـ/ ٧١٢م)، فعاد مغيث إلى موسى بما أمره به الوليد، ولكن قدوم مُغيث، لم يصرف موسى عن المضي في إتمام هذه الفتوح، فبذل جهده للبقاء في الأندلس بعض الوقت ريثما يتم فتح جلِّيقِيّة، ولاطف مغيثاً من أجل ذلك وسأله إمهاله إلى أن ينفِّذ عزمه في فتح جَلِّيقِيّة، والمسير معه أياماً، ويكون شريكه في الأجر والغنيمة' نظير إمهاله بعض الوقت ومصاحبته في غزوة جلِّيقِيّة، وقبِل مغيث هذه الشروط، فلما اطمأن موسى إلى ذلك بادر بالسير شمالاً لفتح قَشْتَالة القديمة (Old Castile) تأميناً للحدود الشمالية لإقليم طُليطلة(٢٤٥).

وسار موسى بقواته حتى بلغت فتوحاته منطقة خيخون (Gijon) وأقرّ بها حامية، وجعلها حصناً لما فتحه من البلاد في هذه النواحي البعيدة، ثم بعث سرية من فرسانه أدركت البحر عند صخرة بلاي (Peka de Pelayo)، وهكذا وصلتْ جيوشٍ موسى حتى البحر

(٢٤٣) المقرى: نفح الطيب، ج٣، ص٩.

(٢٤٤) على بن رباح: هو أبو عبد الله على بن رَباح بن نُصَير اللّخمي، كان فاضلاً جليلاً من جملة التابعين، وكان في نحو الثمانين من عمره، وهو يروي عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم، منهم عمرو بن العاص وولده عبد الله، وعُقبة بن عامر وأبو هريرة وعائشة أم المؤمنين زوج النبيّ ﷺ، وروي عنه جماعة يكثر تعدادهم، ولد سنة (١٥هـ/ ٦٣٦م)، وكان أعور، ذهبت عينه يوم الصواري في البحر مع عبد الله بن سعد سنة (٣٤هـ/ ٦٥٤م)؛ وكانت له مع عبد العزيز بن مروان منزلة، وهو الذي زفّ أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان إلى الوليد بن عبد الملك، ثم عتب عليه عبد العزيز، فأغزاه إفريقية، إلى أن توفي بها سنة (١١٤هـ/٧٣٢م)، وقيل توفي سنة (١١٧هـ/٧٣٥م)، ؛ ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، ج٢، ص٢٣٩ ؛ ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص٢٤٨- ٢٤٩؛ المقرى: نفح الطيب، ج٣، ص٩.

(٢٤٥) شيت خطاب: قادة فتح الأندلس، ج١، ص٣٣٨، ٣٣٩.

المحيط، فاطمأن إلى أنه فتح شبه الجزيرة، وهو يعلم أن أعداداً كبيرةً من القوط قد تراجعوا أمامه، واجتمعوا في نواحي أشتوريش وجِلّيقيّة (٢٤٦).

وبينما موسى كذلك كان الخليفة يريد عودته إلى دمشق فأرسل إلى موسى رسولاً آخر يكنى: أبا نَصْر عندما استبطأه في القفولِ، فأتاه وهو في مدينة لُكْ بناحية جلّيقية، ومن الواضح جداً أن موسى ترك جبهة القتال مُكرهاً لا بمحض إرادته (٢٤٧)، فلم يكن أمام موسى سوى الدخول في الصلح مع أهالي جليقية وأن يأخذ بلاي رهينة ضماناً لحسن طاعتهم دفعه إلى ذلك رغبة الخلافة في استرجاعه بالإضافة إلى انعدام الأهمية الحربية والعمرانية، وأنها محاطة بغابات كثيفة (٢٤٨)، فأخذ موسى في طريق العودة أواخر سنة (٩٥هـ/ منتصف صيف ٧١٤م) (٢٤٩).

ولم تقدم المصادر الإسلامية أي معلومات عن مكان احتجاز بلاي في مدينة قرطبة، ولا أي معلومات عن طبيعة المعاملة التي تلاقها من قبل المسلمين، وأن بلاي لم يحتك بالمسلمين احتكاكاً مباشراً في مكان رهنه، ولم يعرض عليه الإسلام من قبل المسلمين الذين كان لديهم حرصٌ شديدٌ أن يدخلَ القادة ورؤساء القبائل والرهائن الذين يتم اتخاذهم للدين الإسلامي، وذلك لأن بدخولهم الإسلام يتبعهم أهل المنطقة التي ينتمون إليها وفي حوادث فتح إفريقية الأدلة الكافية، وأن المسلمين استهانوا بمنطقة جليقية وظنوا أنها ليست ذات أهمية بجوار البلاد الأخرى مثل فرنسا وإيطاليا وسويسرا التي اتجهت لها الفتوحات الإسلامية بقوة،

(٢٤٦) محمود شيت خطاب: قادة فتح الأندلس، ج١، ص٣٤٢.
(٢٤٧) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٢٧٠؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٢٧٩؛ عبد الرحمن على الحجى، التاريخ الأندلسى، ص١١٦.
(٢٤٨) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص٣٦٠.
(٢٤٩) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٢٧٠؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٢٧٩؛ محمود شيت خطاب: قادة فتح الأندلس، ج١، ص٣٤٢- ٣٤٣.

لذلك لم يهتموا ببلاي المرتهن عن أهل جليقية، ولو أن هذه المنطقة تمثل أهمية لحرص المسلمين أن يكون بلاي من المسلمين المجاهدين في سبيلِ الله، أو تشديد الحراسة عليه لكي لا يستطيع الهرب.

ولقد تمكن بلاي من الفرار في زمن والي الأندلس الحر بن عبد الرحمن الثقفي سنة (٩٨ هـ / ٧١٨م) واتجه إلى منطقة أشتوريش وأخذ يتنقل في هذه المنطقة واستقر في مدينة كانجاس إحدى مدن جليقية حيث التف حوله نفر من القوط الهاربين من المسلمين وكذلك الأبيريين والرومان المقيمين في هذه المنطقة والذين لم يجدوا أفضل من أشتوريش (Asturias) المحصنة بشكل طبيعي من الاحتماء بها (٢٥٠)، فأخذ يحرضهم على الوثوب على المسلمين ويعيب عليهم التراجع والاستسلام (٢٥١).

وقامت هذه المجموعة بإعادة تأسيس نفسها وإعداد العدة للوقوف ضد المسلمين من جديد، فاجتمع بعض النبلاء ورجالُ الدين ومن تبقي من جنود لذريق يساندهم السكان المحليون فاختاروا بلاي ((Playa زعيما لهم الذي اتخذ من قرية كانجاس دي أونيس (Canges de Onis) عاصمة لهم (٢٥٢)، وبدأ بلاي مع أتباعه مقاومة المسلمين سنة (٩٨هـ/٧١٨ م) ويعتقد أنه أقام علاقات سلمية مع المسلمين لفترة وربما دفع لهم الجزية (٢٥٣).

(٢٥٠) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٣٠٨.
Imemuddin, Apolitical History of Muslim Spain, p 217
(٢٥١) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٣٥٠؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٣٣٤.
(٢٥٢) مونتغمري وات في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص ١٦٤.
Imemuddin, Apolitical History of Muslim Spain, p 217.
(6) Chapman, Ahisory of Spain,P53.

وقد حاولَ بعضَ ولاة المسلمين في الأندلس التصدي لهذه التجمعات الإسبانية، وذلك بعد أن نمت وازداد خطرها وبدأت تعتدي على المسلمين المجاورين لأماكن تجمعها مستغلةً انشغال المسلمين بنزعاتهم الداخلية، وأدي انشغال الوالي الحر بن عبد الرحمن الثقفي (٩٨- ١٠٠هـ/٧١٨ -٧٢٠م) بالغزو إلى بلاد الفرنجة ونواحي أربونة، في الشمال الشرقي إلى انتعاش حركة المقاومة المسيحية في المنطقة الشمالية الغربية بزعامة بلاي (٢٥٤).

وتزامن عهد بلاي مع فترة من النشاط العسكري المكثف من جانب الحكام المسلمين على الممتلكات الإفرنجية الذين كانوا يشنون هجمات متتالية على تلك المناطق بحثاً عن الانتصاراتِ العظيمةِ، لكنهم تعرضوا هناك للهزيمة، مما عرض السيطرة الإسلامية في المناطق الشمالية الشرقية لشبه الجزيرة للاهتزاز، كما خلقوا لأنفسهم عدواً جديداً بفتحهم لهذه الجهة الأمر الذي رفع الروح المعنوية للنصارى في الشمال الإسباني (٢٥٥)، فانطلقت حملة إلى الشمال لإخضاع هذه الشراذم في عهد الوالي عنبسة بن سحيم الكلبي (١٠٣-١٠٧هـ/٧٢١-٧٢٥م) واجتاحت بلاد البشكنس(٢٥٦)، وهضاب أشتوريش، واصطحبت هذه الحملة الكونت أوباس(٢٥٧).

(٢٥٤) مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٠، ٤١.

(٢٥٥) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس، ص٢٥٦؛ شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص ١٥؛عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ١٣٤.Crow , Spain the root and the flower , , p80

(٢٥٦) بلاد البشكنس أو بسكونية: تشمل الأقاليم الممتدة من غرب جبال البرتاب حتى شرق أشتوريش بمحاذاة شاطئ خليج بسكونية ومن أهم مدنه (بمبلونة pampelona) وكانت عاصمة مملكة نافار ويسكنها الشعب الذي يسمي اليوم بشعب (الباسك basque) ويسكن الجانب الغربي من جبال البرنيه الفاصلة بين فرانسا وأسبانيا ويتميز بالقوة الجسمانية؛ البكرى: جغرافية الأندلس، ص٧٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص١١٣؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص١٧.

(٢٥٧) الكونت أوباس: الأسقف أوباس بن غيطشة قد تحالف مع المسلمين منذ الفتح إنتقاما من الملك لذريق لقتله أباه غيطشة فعينه المسلمون بعد الفتح حاكما على طليطلة ؛ ابن القوطية: تاريخ إفتتاح الأندلس، ص ٣٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٤.

ودخل المسلمون إلى أشتوريش بجيشٍ قوامه (١٨,٧٠٠) جندي وكان بلاي في هذا الوقت مع جنوده في الجبال، وأقترب علقمه قائد المسلمين بجيشه منه ونصب خياماً لا تحصي مقابل كهف كوفادونجا (Covadonga) الذي التجأ إليه أهل إشتوريس، فأرسل المسلمون المطران أوباس (Oppas) ليقنع بلاي بالاستسلام [٢٥٨] للجيش الذي استطاع الانتصار على حكومة القوط وجيشها الضخم قائلا: هل تطمع بأن تدافع عن نفسك في هذا الكهف؟ استمع إلى وتقدم للاستسلام مقابل العديد من المزايا وصداقة المسلمين.

رد بلاي على المطران صارخاً: " المسيح هو أملنا، من هذا الجبل سوف نثأر لهزيمة القوط إنني واثق من تحقق وعد الرب [٢٥٩].

أدرك المسلمون عدم قدرتهم على تحقيق نصر سهل فهاجموا بكل قوتهم، وتَزعمُ الرواية النصرانية أن (١٢٥,٠٠٠) من المسلمين قد ذبحوا في هذه المعركة وهي أعداد مبالغ فيها، كما وقع المطران أوباس في أيدي مواطنيه وعاقبوه على خيانته بالموت، لكن الحقيقة المؤكدة أن هذا الانتصار الذي تزعم الرواية النصرانية أنه حدث عام (١٠٠هـ / ٧١٨م) أدي إلى إنهاء الحكم الإسلامي على هذه المنطقة وضمن الاستقلال المستقبلي لأشتوريس[٢٦٠]، اعتبرت هذه المعركة البداية الحقيقية لميلاد حركة المقاومة النصرانية في شبه الجزيرة وأطلق عليها اسم حركة الاسترداد (La Reconquista) واستمرت مدة ثمانية قرون وتحديداً إلى عام (٨٩٨ هـ /

(٢٥٨) عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٢١١.

(2) Crow , Spain the root and the flower, p49.

(3) Chapman, Ahistory of Spain, p54. imammuddin, Apolitical History of Spain, p 217.Collins, Roger, Early medieval Spain p 184.

١٤٩٢م) وهو تاريخ سقوط غرناطة (Granada) آخر المعاقل الإسلامية بيد الأسبان(٢٦١).

ونجد أن الروايات الإسلامية قللت كثيراً من أهمية هذه المعركة، ولم تخرجها عن كونها تمرداً في جليقية، حيث بدأ النصارى في المناطق غير المفتوحة بالدفاع عن أنفسهم، وطردوا من الجبال وأخيراً فإن كل ما تبقي لديهم هو الكهف الصخري الذي يعرف لدي المؤرخين باسم صخرة بلاي (Penade Playo) (٢٦٢).

وبعض الروايات النصرانية تشير إلى أن بلاي وجماعته قد حققوا نصراً كبيراً على المسلمين سنة (١٠٤هـ/ ٧٢٢م) حينما أرسل الوالي عنبسة بن سحيم الكلبي (١٠٣-١٠٧هـ/٧٢١-٧٢٥م) حملة لسحق العصاة النصارى في الشمال بقيادة علقمة اللخمي، وقد بالغت هذه الروايات في تصوير هذه الحادثة فجعلتها أشبه بالفتح الذي تم بإرادة القوي الإلهية (٢٦٣)، وقد عرفت هذه المعركة عندهم باسم كوفا دونجا الشهيرة وعدوها تاريخاً حاسماً أثارت حماسة النصارى لمواصلة الكفاح ضد العرب والمسلمين وبداية الحركة المسماة بحركة الاسترداد

أما المصادر الإسلامية فقد أشارت إلى بلاي هذا ومقاومته للمسلمين ولكن إشارتها كانت موجزة، فابن حيان يذكر أن بداية نشأة الممالك النصرانية في أيام الوالي عنبسة بن سحيم الكلبي حيث يذكر " أنه في أيامه قام بجليقية علج خبيث يدعي بلاي فعاب على العلوج طول الفرار وأذكي قرائحهم حتى سما بهم إلى طلب الثأر ودافع عن أرضه، ومن وقته أخذ نصارى

(4) Crow , Spain the root and the flower , , p78.

(٢٦٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص٣٤؛ المقرى: نفح الطيب، ج٤، ص ٣٥٠؛ الحجى: التاريخ الأندلسى، ص ٢٦٩.

(٢٦٣) دورثي لورد: إسبانيا شعبها وأرضها، ترجمة طارق فوده، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٥٩؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص ١٣٦.

الأندلس في مدافعة المسلمين عما بقي بأيديهم من أرضهم والحماية عن حريمهم وقد كانوا لا يطمعون في ذلك"(٢٦٤).

اعتبر البعض أن إطلاق تسمية (La Reconquista) على حركة المقاومة النصرانية منذ ميلادها في أوائل القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي وربطها بحركة الاسترداد الحقيقي التي بدأت بصورةٍ جديةٍ محسوسةٍ بعد زوال خلافة قرطبة في أوائل المائة الخامسة بعد الهجرة لا يخلو من الخطأ، لأن إشتوريس ولدت في ناحية لم يفتحها المسلمين قط فميلادها لا يعد بدءاً لحركة الاسترداد، وإنما يعد ميلاداً لحركة المقاومة للسيادة الإسلامية (٢٦٥).

ولم تتوقف الحملات الإسلامية عند هذا الحد حيث خرجت حملة أخرى بقيادة الوالي عقبة بن الحجاج السلولي (١١٦-١٢٣هـ/٧٣٤-٧٤١م) إلى جليقية (٢٦٦) معقل الفلول الإسبانية، فاقتحم عقبة بجيشه هذه المناطق سنة (١١٨هـ/٧٣٦م)، واسترد منهم بعض المناطق التي سبق أن استولوا عليها من قبل مستغلين سوء أوضاع المسلمين لاسيما بعد خسارتهم المفجعة في بلاط الشهداء واستشهاد الوالي عبد الرحمن الغافقي سنة (١١٤هـ/ ٧٣٢م) (٢٦٧).

ففتح عقبة السلولي جليقية وألبة وبنبلونة ولم يتبق بجليقية قرية لم تفتح غير الصخرة فإنه لاذ بها بلاي فدخلها في ثلاثمائة راجل فلم يزالوا يقاتلونه حتى مات أصحابه جوعاً وترامت

(٢٦٤) المقرى: نفح الطيب، ج٣، ص١٧.
(٢٦٥) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٣١٠؛ محمود مكى: تاريخ الأندلس السياسى، ج١، ص ٦٨.
(٢٦٦) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٦٦؛ عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ١٣٤.
Crow , Spain the root and the flower , p80.
(٢٦٧) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٧٤ ؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص١١٩ ؛وهناك بعض المصـــادر التي تذكر تاريخ وفاته سنة (١١٥ هـــ/ ٧٣٣م) ابن عبد الحكم: فتوح صر، ص٣١٧؛ الحميدى: جذوة المقتبس، ص٢٥٦؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٧.
Imemuddin, Apolitical History of Muslim Spain, p 218.

طائفةٌ منهم إلى الطاعة، فلم يزالوا ينقصون حتى بقي في ثلاثين رجلاً ومعهم عشرة نسوة، وكان عيشهم بالعسل ولاذوا بالصخرة فلم يزالوا يتقوتون بالعسل في خروق الصخرة وما زالوا ممتنعين بوعورتها إلى أن أعيا المسلمين أمرهم واحتقروهم وقالوا ثلاثون علجاً ما عسى أن يجيء منهم فتركوهم احتقاراً لشأنهم (٢٦٨)

لم يوجه القادة المسلمين الاهتمام للقضاء على بلاي لاعتقادهم بأن ذلك سيؤدي إلى أن يموتوا وهم يتعقبوا ثلة من البائسين في الأودية الخطرة (٢٦٩)، ولو فعلو ذلك لربما كانت إسبانيا دولة إسلامية حتى اليوم (٢٧٠)، إضافة إلى ذلك أن العرب لم يكونوا معتادين على المناطق الجبلية القاسية، وأن أساليبهم الحربية لم تتكيف مع تلك المناطق (٢٧١).

والذي زاد الأمر سوءاً حالة الانقسام التي أصابت المسلمين ودخولهم في مرحلة الحرب الأهلية التي شغلت المسلمين عن متابعة نصارى الشمال وتوسع ممتلكاتهم، حيث حدثت الفتنة بين العرب والبربر في عهد الوالي عبد الملك بن قطن الفهري سنة (١٢٣هـ/٧٤٠م) وتم إخمادها عندما استعان عبد الملك بن فطن بالقوة الشامية المحاصرة في سبته بقيادة بلج بن بشر القشيري وذلك في سنة (١٢٣هـ/٧٤١م).

وبعد إخماد هذا التمرد في معركة وادي سليط تعقب العرب البربر في نواحي الجزيرة واشتدوا في ذلك شدة بالغة، وتبع هذه الفتنة الصراع بين القبائل اليمنية والقيسية، واشتعلت الحرب بينهما واستمرت هذه الفتنة حتى دخول عبد الرحمن الداخل للأندلس سنة (١٣٨هـ/

(٢٦٨) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٦٦؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٢٩ ؛ المقرى: نفح الطيب، ج٤، ص ٣٥٠؛ حسين مؤنس: بلاي وميلاد إشتريس، ص ٦٨.

(٢٦٩) دوزى: المسلمون في الأندلس، ج٢، ص ١٥.

(3) Crow , Spain the root and the flower, p 80.

(4) Collins, Roger, Early medieval Spain p 184.

٧٥٦م) وخُتِمَتْ هذه الفترة بالصراع بين يوسف الفهري من جهة والصميل بن حاتم من جهة أخرى وانتهت بمعركة المسارة سنة (١٣٨هـ/٧٥٦م) (٢٧٢).

وساءت أحوال الأندلس بالمجاعة التي حدثت في البلاد وبسببها حدث القحط، و يتحدث عنها صاحب الأخبار المجموعة بقوله " حتى كانت فتنة أبي الخطار وثوابة، فلما كانت سنة (١٣٣هـ/٧٥٠م) هزمهم بلاي وأخرج العرب عن جليقية كلها وتنصر كل مذبذب في دينه وضعف عن الخراج وقُتل من قتل وصار فلُهم إلى خلف الجبل إلى إستورقة حتى استحكم الجوع فأخرجوا أيضا المسلمين عن إستورقة وغيرها، وانضم الناس إلى ما وراء الدرب الآخر وإلى قورية وماردة وفي سنة (١٣٦هـ/٧٥٣م) اشتد الجوع فخرج أهل الأندلس إلى طنجة وأصيلا وريف البربر مرتحلين وكانت إجازتهم من وادي بكورة شذونة ويقال لها وادي برباط فتلك السنون تُسمي سني برباط فخف سكان الأندلس، وكاد أن يغلب عليهم العدو إلا أن الجوع شملهم"(٢٧٣).

ولا نزاع في أن عدد من هاجر من البربر كان عظيماً جداً لأن المؤرخين يحدثوننا أن نواحي شمال الأندلس وغربه كادت تخلو من أهلها المسلمين، فإذا أضفنا إلى ذلك أعداد من هلك من السكان عرباً وبربراً بسبب المجاعة، ومن هاجر منهم إلى الجنوب وإلى الغرب وإلى إقليم سرقسطة استطعنا أن نعرف السبب فيما حدث من اتساع دولة النصارى الأسبان في جليقية وأشتريش اتساعاً مفاجئاً حيث بلغت به ضعف حجمها الأول بين سنتي (١٣٤-١٣٦هـ/٧٥١- ٥٥٣م) ذلك أن الإقليم الواسع بين نهري المنهو والدويرو خلا من سكانه

(٢٧٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ٢٢٠-٢٢١ ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٣٠، ٣١؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص٢٥٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٢٢- ١٢٦.
(٢٧٣) مجهول: أخبار مجموعة، ص٨٣.

المسلمين في ذلك الحين، فأستطاع النصارى أن يتقدموا ويحتلوا ما استطاعوا من هذه المساحة من غير جهد، وكان يقودهم ملكهم ألفونسو الأول فاسترجع النصارى أفراغة وأبورتو وفزيو وبذلك سيطروا على شمال الأندلس حتى الدويره، ثم تقدموا بعد ذلك في حذر فاستولوا على إسترقة وليون وسمورة ولدسما وشلمنقة وقورية، بل تذهب المراجع النصرانية إلى إنهم استرجعوا ماردة نفسها، وبهذا خسر المسلمون ربع ما فتحوه من الأندلس بسبب هذه الخصومات القبلية وبسبب المنازعات بين العرب والبربر، وكان لها أسوأ الأثر على مستقبل الإسلام في الأندلس(٢٧٤).

استطاعت المملكة الإستورية(٢٧٥) الصغيرة التي كانت تختبئ وراء الجبال أن تتوسع بواسطة اختلاط العائلة المالكة(٢٧٦) مع العائلات المالكة من دوقيات كنتبرية في الشرق(٢٧٧)، حدث ذلك بعد وفاة بلاي (١٣٣هـ/٧٥٠م) فخلفه ابنه فافيلا (Fafila) (١٣٣-١٣٥هـ/٧٥٠-٧٥٢م) الذي لم يطل حكمه أكثر من عامين بسبب وفاته على يد دب تعرض له أثناء خروجه للصيد(٢٧٨)، ولم يترك فافيلا بصماته في التاريخ الإسباني كما لم يترك عقباً، وتوافق ذلك مع وفاة بطره (Pedro)أمير كنتبريه مخلفا ابنه الفونسو (Alfonso)

(٢٧٤) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٢٦١ -٢٦٢.
(٢٧٥)ملوك مملكة اشتوريش النصرانية: إنظر ملاحق الرسالة، ص ٣٢٨.
Imemuddin, Apolitical History of Muslim Spain, p 218.
(4) Imemuddin, Apolitical History of Muslim Spain, p 218
.Collins, Roger, Early medieval Spain p 185
(٢٧٧) كان هناك تجمع مسيحي في هضباب كانتابريه (Contabria) (نافار وبسكونية)تحت حكم زعيم يدعي الدوق بتروس بن بطره كونت إمارة صغيرة في الشمال الشرقي في نافار (Navarra) أو بلاد البشكنس(Basques) ولكن هذه الإمارة كانت قليلة الخطر على المسلمين لوقوعها في الطرف الغربي من جبال البرنيه (Byrenees) فكانت عرضة لإقتحام الجيوش الإسلامية عند مسيرهم إلى بلاد الفرنجة وعند عودتهم منها؛ لمزيد من التفاصيل أنظر: عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٠٧ ؛ الحجى: التاريخ الأندلسى، ص ٢٦٩.
(٢٧٨) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٥، ص ٢٦٤؛ المقرى: نفح الطيب، ج٤، ص ٣٥١.

الذي كان متزوجاً من أرمسندا(Ermesinda) ابنة بلاي فأصبح الوريث الشرعي للعرش، فاختاره النصارى ملكا عليهم، وبذلك تم توحيد الإمارتين الصغيرتين تحت سلالة أسرة أستورية واحدة(٢٧٩).

ويعتبر ألفونسو المؤسس الحقيقي لمملكة أشتوريس حيث استطاع توحيد النصارى والحفاظ على ما بأيديهم من هجمات المسلمين المتتالية، وفي حملاته ضد الأراضي الإسلامية قام باستدعاء آلاف النصارى (المستعربين) مما جعل الشمال النصراني مأهولاً بالسكان(٢٨٠)، وفي عهد ألفونسو توسعت المناطق المسيحية على حساب الممتلكات الإسلامية، ولم يحاول العرب الحفاظ على خطوط الاتصال والاستيطان في المناطق الوعرة غير المرغوب فيها(٢٨١) إضافة إلى عدم وجود أعدادٍ كافيةٍ من الأفراد للانتشار في تلك المناطق(٢٨٢)، وحالما أتيح المجال أمام البربر الذين زرعوا في جليقية عادوا إلى الشمال الإفريقي أثر اندلاع الحروب الأهلية(٢٨٣).

ضعفت قبضة العرب في وادي دويرة منذ سنة (١٣١-١٣٦هـ/٧٤٨-٧٥٣م) تعاونت الحربُ الأهليةُ مع المجاعة التي أصابت شبه الجزيرةِ لمدة خمسِ سنواتٍ متتالية على تحرير جزءٍ كبيرٍ من إسبانيا من الحكم الإسلامي، وأحكمَ النصارى السيف في رقابِ من وجدوه منهم في البقاع التي غادرها المسلمون، غير أن أمل ألفونسو في امتلاك هذه الأراضي

(٢٧٩) الحجي: التاريخ الأندلسى، ص ٢٧٠، ٢٧١.
Imemuddin, Apolitical History of Muslim Spain, p 218.
(2) Chapman, Ahisory of Spain,P54. Imemuddin, Apolitical History of Muslim Spain, p 218.
(٢٨١) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص٣٤٤.
Imemuddin, Apolitical History of Muslim Spain, p 217.
(٢٨٢) رينهارت دوزى: المسلمون في الأندلس، ج٢، ص ١٥.
(٢٨٣) مجهول: أخبار مجموعة، ص٤٣-٤٤ رينهرت دوزى: المسلمون في الأندلس، ج٢، ص ١٥.
Imemuddin, Apolitical History of Muslim Spain, p 218.

تبدد هباءً لقلة ما لديه من العبيدِ لفلاحةِ الأرض في إقليمٍ فسيحٍ كهذا، ولقلةِ توفر المال الذي يلزمه لترميم تلك القلاعِ والحصونِ التي عمد المسلمون إلى هدمها أو تخريبها قبل رحيلهم (٢٨٤)،

مما أدي إلى تشكيل الحدود في المناطق غير المسكونة (٢٨٥)، والتي كانت تشكل مناطق وقائية خلفها ملوك إشتوريس بوعي لكي يحموا أراضيهم ضد أي هجوم مفاجئ من قبل القوات الإسلامية (٢٨٦).

ولم تشكل المناطق الحدودية خطاً ثابتاً ولم تتجه إلى الجنوب بشكلٍ مباشر، بل كانت تتقدم عندما يحقق النصارى أي نصرٍ أو يسيطروا على مدينةٍ تسيطرُ على مدخلِ أو تسيطرُ على سهلٍ، وعندما يكون هناك أية أزمة أو حرب أهلية بين المسلمين كانت الحركة نحو الجنوب تتقدم وتتراجع ولكن بزخم أكبر من الشمال (٢٨٧).

كل ذلك يوحي بأن المسلمين أرادوا التخلي عن هذه المناطق الشمالية لإنشاء سلسلة حدودية إلى الجنوب، لأن مشاكلهم كانت أكبر في الجنوب، كما أن وجودهم في أقصى العالم الإسلامي جعل إفريقية ومنطقة شرق البحر الأبيض المتوسط تشكل المنطقة الطبيعية لاهتمامهم (٢٨٨).

(٢٨٤) رينهارت دوزى: المسلمون في الأندلس، ج٢، ص ١٦.
(٢٨٥) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص٣٤٤؛ عادل سعيد: الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ٥٢.
Imemuddin, Apolitical History of Muslim Spain, p 219.
(٢٨٦) أجيوس، ديونيسيوس وريتشارد هيتشكوك: التأثير العربي في أوربا في العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبده قاسم، عين للدراسات، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ١٦٠.
(٢٨٧) محمد نايف: مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ٥٦.
(8) Collins, Roger, Early medieval Spain p 184.

الرهائنُ السياسيونَ مع الإفرنجِ

بدأ تطلع الولاة العرب في إسبانيا إلى بلاد ما وراء البرانس وجعلوا الجهاد لنشر الإسلام في العالم هدفاً وقاعدةً لتحركهم العسكري وتوسعهم في أوربا وخاصةً وراء البرتاب، وذلك عقب الجهود التي بذلها موسى بن نصير في تتبع بقايا القوط الذين تقهقروا صوب الشمال واعتصموا بما بقي لهم من أرض في المناطق الواقعة جنوب جبال البرانس، وكان موسى يود أن يطوق جذور المقاومة النصرانية(٢٨٩) التي تتدفق من جنوب فرنسا إليهم، لكنه لم يستطع تحقيق غايته بسبب استدعائه إلى بلاد الشام(٢٩٠)، وكان هدف موسى بن نصير الوصول بالفتوحات الإسلامية إلى دمشق عاصمة الخلافة عن طريق ألمانيا مارا بالقسطنطينية وبأسيا الصغرى، بحيث يصبح البحر المتوسط كله عبارة عن بحر متوسط للمملكة الإسلامية(٢٩١)

وقد كان أشد ما بُهتَ به المسيحيون وقتئذ أنهم كانوا يرون أعداءهم هؤلاء في كل مكان وفي وقت واحد، وكانت طريقتهم في الفتح أنه إذا خضع لهم بلد بدون قتال لم يعتدوا على سكانه في مالهم ولا في دينهم، وإنما كانوا يحولون جانبا من الكنائس إلى جوامع ويغنمون ما فيه من النفائس، ويضعون أيديهم على الأراضي التي نزح عنها أهلها وعلي الخيل والعتاد التي كانت ضرورية لهم في تلك الغزوات المتواصلة، وكانت الجزية التي يفرضونها على الأهالي متفاوتة بحسب الأحوال، ولربما أخذوا من الأهالي رهائن ليستوثقوا منهم، فأما البلاد التي لم

(٢٨٩) شكيب أرسلان: غزوات العرب، ص ٣٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٥٤.
(٢٩٠) ابن الكردبوس:تاريخ الأندلس، ص٤٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٨.
(٢٩١) شكيب أرسلان: غزوات العرب، ص ٣٧.

تخضع لهم إلا بالسيف فقد كانت عرضةً للمظالم التي تصحب الفتوحات، وكان يفرضُ عليها ضعف جزية البلاد الخاضعة بلا قتال، وكانوا يتركون فيها حاميةً لحفظها وربما جعلوا في هذه الحامية بعض اليهود الذين كانت عداوتهم للمسيحيين أضمن سبب للثقة بهم(٢٩٢).

وقد باشرَ المسلمون توسعهم في غالة قبل نهاية القرن الأول للهجرة في ولاية الحر بن عبد الرحمن الثقفي (٩٧-٩٩هـ/٧١٥-٧١٧م)، ومن بعده السمح بن مالك الخولاني (١٠٠-١٠٢هـ/ ٧١٩-٧٢١م) الذي قام بحملته العسكرية التي استهدفت بلاد غالة وجرت بينه وبين الفرنجة معركة طولوشة، والتي كان من قتلاها السمح بن مالك نفسه(٢٩٣) وقام أمير القيروان يزيد بن أبي مسلم بتولية عنبسة بن سحيم الكلبي واليا على الأندلس فوصل عنبسة إلى الأندلس في (١٠٣هـ/٧٢١م) (٢٩٤)، وكانت الأندلس تعاني من الاضطرابِ بسببِ الهزيمة التي أصابت المسلمينَ في جنوب فرنسا، وبسبب النزاع المستمر بين القبائل العربية، لذلك قضي عنبسة فترة السنوات الأولى من ولايته في تنظيم وتهدئة البلاد(٢٩٥)، ويضاف إلى ذلك أنه وجه جهوده للقضاء على التمرد في جليقية وكان عنبسة ذا حماسٍ للفتوح، وللسير في الطريق التي سلكها السمح من قبله، وكان يرمي إلى الحفاظ على منطقة غالة القوطية، وحماية خطوط مواصلات العرب مع أربونة، ولهذا فلم تكدْ الأمور تستقر له حتى سار بجيشٍ عظيمٍ نحو بلادِ غالة أو جنوب فرنسا، وحاول تدعيم خط الدفاع أمام أربونة، فحاصر مدينة قرقشونة وافتتحها بعد فترة وجيزة، وذلك بعد أن نزل المدافعون عن البلد على شروطه، فعقد معهم معاهدة

(٢٩٢) شكيب أرسلان: غزوات العرب، ص ٣٧، ٣٨.
(٢٩٣) ناصر محمد بسيونى: السياسة الخارجية للدولة الأموية بالأندلس في عهد الإمارة؛ رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية ١٩٩٩، ص٤٠.
(٢٩٤) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص١٢٠؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٧؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١١٨؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٢٣٥.
(٢٩٥)عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٨٢؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص ٥٣.

صلح وافقوا بموجبها على منح نصف المدينة وما حولها للمسلمين، وأن يدفعوا الجزية ويطلقوا سراح جميع الأسري المسلمين الموجودين في المدينة وأن يلتزموا بروح هذه المعاهدة وذلك بمقاتلة أعداء المسلمين ومحالفةِ أصدقائهم(٢٩٦).

واستولى عنبسة بعد هذا على جميع غالة القوطية، ووصل إلى نيمس(٢٩٧)، وأخذ رهائن من أهلها وأرسلهم إلى برشلونة(٢٩٨)، القاعدة الإسلامية في شمال شرق الأندلس، ويفهم من ذلك أن برشلونة كانت في يد المسلمين واتخذوها حصناً ومركزاً يصدرون منه للغزو فيما وراء البرتاب(٢٩٩)، ومن هذا المكان سار المسلمون حتى أدركوا نهر رودنة، وصعدوا مع النهر إلى نهر الساؤون، ومن ثم توغلوا في إقليم برغندية وفتحوا مدينة أوتون **Autun** في سنة (١٠٧هـ/ ٧٢٥ م)، ويذكر بعض المؤرخين أن حملة عنبسة استمرت في سيرها حتى وصلت إلى مدينة أوزة **Uzes**، وفيفيه **Viviers** وفالانس **Valence**، ولى ون، وماسون **Macon**، وشالون **Chalon**. ومن هناك تفرعت إلى فرعين، سار الأول نحو ديجون **Dijon**، وبيز **Beze**، ولانجر **Langres**، واتجه الثاني إلى أوتون مرة أخرى، ولم يقف تيار هذه الحملة إلا قرب بلدة سانس **Sens**، على بعد ثلاثين كيلومتراً إلى الجنوب من باريس، وذلك بسبب تصدي أسقف سانس للمسلمين ووقفه لتقدمهم (٣٠٠).

(٢٩٦) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٣٧٧؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٧؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٥١؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص ٥٢.

(٢٩٧) مدينة نميس (Nimes): مدينة مشهورة في جنوب فرنسا ذات آثار رومانية عظيمة؛ أرسلان: تاريخ غزوات العرب، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٢٣، ص ١٠٧. ليوبولدوتورس بالياس: المدن الأسبانية الإسلامية، ص ٣٧.

(٢٩٨) شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص ٧٣؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص٥٣.

(٢٩٩) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص٥٣ ؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٣٠٧.

(٣٠٠) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص ٥٣.

ونجد أن عنبسة قامَ بفتحِ العديدِ من المدن ولم تذكر المصادرُ التاريخية أسماء المدن التي أخذ منها القائد عنبسة رهائن سوى مدينة (نيمسNimes) تحديداً ولم تقدم لنا الأسباب، أو أي معلومات عن هؤلاء الرهائن!

يذكر بعض المؤرخين: أن حملة عنبسة لم تكن في الحقيقة سوى غارة بعيدة المدى، ولو كان له نية للفتح الثابت لأتم الاستيلاء على ما غلب عليه من المدائن، وربما كانت نيته من أول الأمر أن يقوم بحملة تشبه حملة عقبة الكبرى، وأن حملته الرائعة تلك لم تكن أكثر من غارة سريعة طويلة أتت بمغانم وفيرة ونشرت في نواحي غالة رعباً شاملا (٣٠١)، ولكن لماذا اتخذ عنبسة الرهائن من أهل هذه المدينة إذا لم يكن غرضه البقاء ونشر الإسلام!!!

وقد عاد عنبسة ومن معه من الجند، وذلك بعد أن وصلته أنباء بحدوث بعض القلاقل في البلاد، ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى الأندلس، فقد هاجمته في طريق العودة جموع كبيرة من الفرنج، فاستشهد نتيجة للمعركة التي حدثت بين الطرفين في (شعبان ١٠٧هـ/ ديسمبر ٧٢٥م) (٣٠٢). فقام القائد عذرة بن عبد الله الفهري -وتسميه المصادر المسيحية Hodera أوHodeyra بقيادة الجيش والعودة به إلى قواعده (٣٠٣).

وعمل شارل مارتل على مهاجمة المواقع الإسلامية بمساعدة أخيه شيلد براند الذي أتي بجيشٍ كبيرٍ من البرابرة من الأقاليم الشرقية للإمبراطورية الإفرنجية، وبمساعدة ليتوبراند Luit prand ملك اللومبارديين، وعمل على إثارة الباسك ليغلقوا ممرات جبال البرانس، وقام شارل مارتل بمهاجمة مدينة أفينيون التي استسلمت بعد حصارٍ طويلٍ وقتل من بها من

(٣٠١) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٣٠٧.
(٣٠٢) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس، ص ٢٧٢؛ الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٧، ص ٢٠٩.
(٣٠٣) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص ٥٣؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٣٠٧.

المسلمين وضرب الحصار حول مدينة أربونة، فأرسل عقبة بن الحجاج السلولي جيشاً لإنقاذها عن طريق البحر، ووصلت الإمدادات الإسلامية للمدينة عن طريق البحر، لكن شارل مارتل فاجأها قبل أن تتأهبَ للقتالِ، وهزمتِ القوات الإسلامية التي أرسلت لنجدتها، ورغم ذلك لم يستطع شارل مارتل الاستيلاء عليها لأن المسلمين أحسنوا الدفاع عنها، فأضطر شارل لرفع الحصار عن المدينة، وقبل رحيله عنها قام بتخريب المناطق الواقعة بجوار اللوار ليقيم حاجزاً بينه وبين المسلمين يتعذر عليهم عبوره فخربَّ العديدَ من المدنِ الهامة مثل مدينة بيزيه وآجد وماجلون وغيرها، وأحرقَ مدينة ني وهدم قسماً من الملهي الروماني خوفاً من أن يتحصن به العرب، وخرب مدينة ما جلون التي شهدت في عهد المسلمين ما لم تشهده في ظل القوط أو الفرنجة، بالإضافة إلى ذلك نجد شارل مارتل قد اتخذ المسلمين الذين كانوا يقيمون في هذه البلاد رهائن(٣٠٤).

وذلك حتى يتم المساومة عليهم إذا رجع المسلمين، ولكن لم يرجع المسلمين لهذه المناطق مرة أخرى، ولم تذكر المصادر التاريخية أية معلومات على ما آل إليه حال هؤلاء الرهائن.

(٣٠٤) مني حسن محمود: المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، دار الفكر العربى، القاهرة١٩٨٦، ص١٦٩.